

الوافي في الوفيات

الوليد بن طَرِيفٍ الشيباني الشاري أحد الأبطال الشجعان الطُّغاة كان رأس الخوارج وكان مقيماً بذَصيبينَ والخابور وتلك النواحي خرج في أيام هارون الرشيد وبَغَى وحشد جموعاً كثيرة فنَهَضَ إليهم عامل ديار ربيعة فقتلوه وحضروا عبد الملك بن صالح الهاشمي بالركة فاستشار الرشيد ليحيى بن خالدِ البرمكي في مَن يُوجِّهُ إليه فقال له : وجِّهْه إليه موسى بن خازم التميمي فإنَّ فرعونَ اسمه الوليد وموسى غرَّقه فوجهه في جيش كثيفٍ فلاقاه الوليد فهزم أصحابَه وقتله فوجَّهْه إليه معمر بن عيسى العبدى فكانت بينهم وقائع بدارا وزاد ظهور الوليد فأرسل إليه الرشيدُ جيشاً كثيفاً مقدمه أبو خالد يزيد بن مزيد بن زائدة الشيباني وسوف يأتي ذكره إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الياء فجعل يحتاله ويمكره وكانت البرامكة منحرفةً عن يزيد فأغرَّوا به الرشيدَ وقالوا : إنه يراعيه من جهة الرِّحْمِ وإلا فشوكة الوليد يسيرةٌ وهو يواعده وينتظر ما يكون من أمره فوجَّهْه إليه الرشيد كتابٌ مُغضبٌ وقال : لو وجَّهْتُ بأحد الخَدَمِ لقام بأكثرَ مما تقوم به ولكنَّك مُدَاهِنٌ متعصبٌ وأمير المؤمنين يقسم بالله تعالى لئن أخرجت مناجزة الوليد لبيعثن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين فلقى الوليد فظهر عليه فقتله وذلك في سنة تسع وسبعين ومائة عشية خميس في شهر رمضان وهي واقعة مشهورة وكانت للوليد أُخْتُ تسمَّى الفارعة وقيل فاطمة تجيد الشعر وتسلك سبيل الخنساء في مراثيها لأخيها صَخر فرثت أخاها الوليد بقصائد وكان الوليد ينشد يوم المصافى : .

أنا الوليدُ بنُ طريف الشاري ... قَسَوَرةٌ لا يُصطَلَى بناري .

جَوْرُكمُ أخرجَني من داري .

ولما انكسر جيش الوليد وانهزم تبعه يزيد بن مَزِيد بن نفسه حتى لحقه على مسافةٍ بعيدةٍ فقتله وحزَّ رأسه ولما عَلامَت أخته لبست عُدَّةَ حربها وحملت على جيش يزيد فقال يزيد : دعوها ثم خرج فضرب بالرمح فرسه وقال : اغرُبي غرباً عليكِ فقد فضحتِ العشيرةَ فاستحيَت وانصرفت وقالت ترثي أخاها الوليد : .

ذكرتُ الوليدَ وأيامه ... إذ الأرضُ من شخصه بلقَعُ .

فأقبلتُ أطلبه في السماء ... كما يبتغي أنفَه الأجدع .

أضاعك قومك فليطلبوا ... إفادةً مثلَ الذي ضيَّعوا .

لو أن السيوفَ التي حدَّها ... يُصيِّدُك تعلم ما تصنع .

نَبَتَ عنك إذ جُعِلَت هيبةٌ ... وخوفاً لصَوْلِكَ لا تقطَع .

وقالت فيه أيضاً : .

بِتَلِّ نَهَاكِي رَسْمُ قَبْرِ كَأَنَّهُ ... عَلَى جَبَلٍ فَوْقَ الْجِبَالِ مُذَيِّفٌ .
تَضْمَنَ مَجْدًا عُدْمُ لِيَا وَسُودْدًا ... وَهَمَّةٌ مَقْدَامَ وَرَأْيَ حَصِيفٍ .
فِيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا ... كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ .
فَتَى لَا يَحِبُّ الْمَالَ إِلَّا مِنَ التُّقَى ... وَلَا الزَّادَ إِلَّا مَنْ قَنَاً وَسُيُوفٍ .
وَلَا الذُّخْرَ إِلَّا كُلَّ جَرْدَاءٍ صَلْدِمٍ ... مَعَاوِدَةً لِلْكَرِّ بَيْنَ صُفُوفٍ .
كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ هُنَاكَ وَلَمْ تَقْمِ ... مَقَامًا عَلَى الْأَعْدَاءِ غَيْرَ خَفِيفٍ .
وَلَمْ تَسْتَلِمْ يَوْمًا لَوْرْدٍ كَرِيهَةٍ ... مِنَ السَّيِّئِ فِي خَضَاءِ ذَاتِ رَفِيفٍ .
وَلَمْ تَسْعَ يَوْمَ الْحَرْبِ وَالْحَرْبُ لَاقِحٌ ... وَسُومُ الْقَنَا تَنْكَرُزُهَا بِأُنُوفٍ .
حَلِيفَ الذِّدَى مَا عَاشَ يَرْضَى بِهِ الذِّدَى ... فَإِنْ مَاتَ لَا يَرْضَى الذِّدَى بِحَلِيفٍ .
فَقَدْنَاكَ فُقْدَانَ الشَّبَابِ وَلَيْتَنَا ... فَدَيْنَاكَ مِنْ دَهْمَانَا بِأُلُوفٍ .
وَمَا زَالَ حَتَّى أَزْهَقَ الْمَوْتُ نَفْسَهُ ... شَجَى لِعَدُوٍّ أُولَجَاً لضعيفٍ .
أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلْحَمَامِ وَلِلْجَلَى ... وَلِلْأَرْضِ هَمٌّ تَبْعَدُهُ بِرَجِيفٍ .
أَلَا يَا لِقَوْمِي لِلنَّوَائِبِ وَالرَّيْدَى ... وَدَهْرٍ مُلَحٍّ بِالْكَرَامِ عَنِيفٍ .
وَلِلْبَدْرِ مِنْ بَيْنِ الْكَوَاكِبِ إِذْ هُوَ ... وَلِلشَّمْسِ لَمَّا أَزْمَعَتِ بِكُسُوفٍ .
وَلِلْيَتِّ كُلِّ الْيَتِّ إِذْ يَحْمِلُونَهُ ... إِلَى حُفْرَةٍ مَلْحُودَةٍ وَسَقِيفٍ